

سورة الطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا تَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٤﴾﴾

فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ: مستقبلات لعدتهن (الطهر).

وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ: اضبطوها وأكملوها ثلاثة قروء.

بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ: بمعصية كبيرة ظاهرة.

بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ: قاربن انقضاء عدتهن.

مَخْرَجًا: من كل شدة وضيق وبلاء.

لَا يَحْتَسِبُ: لا يخطر بباله ولا يكون في حسابه.

فَهُوَ حَسْبُهُ: كافيه ما أهمه في جميع أموره.

قَدْرًا: أَجَلًا يَنْتَهِي إِلَيْهِ أَوْ تَقْدِيرًا أَزَلًا.

شرّع الإسلام الطلاق كعلاج لا مفر منه لحالة استثنائية؛ يتعذر معها ارتباط الزوجين أحدهما بالآخر واشتراكهما في حياة واحدة في جوٍّ من المودة والتعاون الإيجابي البناء والثقة المتبادلة، ولكنه حدّد لإيقاعه أسلوباً خاصاً يستغرق فترةً معينةً من الزمان، وهكذا تم تقييد عملية الطلاق ببعض الحدود والحكمة من هذا التقييد أن تظل فرصة المعاوادة بين الفريقين قائمة حتى اللحظة الأخيرة، وألا يتسبب حادث الطلاق ما أمكن في إثارة أي نوعٍ من الفساد الأسري أو الفوضى الاجتماعية. ويُلاحظ هنا أن الطلاق لا يكون على وفق الشريعة الإسلامية إلا إذا كان يصحبه روح الخشية الإلهية عبر كل مراحلها !!

﴿وَالَّتِي يَسْتَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ رَزَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ تَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۚ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ۝﴾

يَسْتَنُ: انقطع رجاؤهن لكبرهن.

وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ: لصغرهن عدتهن ثلاثة أشهر.

يُسْرًا: تيسيراً وفرجاً.

فرضت الشريعة الإلهية على الإنسان فيما يتعلق بقضية الطلاق وغيرها من قضايا الحياة الاجتماعية مجموعةً من الضوابط والقيود، وقد تبدو هذه الضوابط والقيود للوهلة الأولى كأنها حاجز يحول بين الإنسان وبين استخدامه حريته كيفما يشاء، ولكنها نعمة وأي نعمة، فالمرء إذا التزم بهذه الضوابط في حياته اليومية، صار بمنجاةٍ من كثيرٍ

من المتاعب والخسائر غير الضرورية ، وبالإضافة إلى ذلك فقد جعل نظام هذا العالم بحيث يتم هنا تلافي كل خسارة بالضرورة على نحو ما .. غير أن هذا التلافي ليس إلا من نصيب مَنْ لا يخرج من دائرة الفطرة على أية حال !

﴿ أَسْكِنُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِّنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُمْ لِنُضَيْقُوا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنْ أُولَئِكَ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأُتِمُّوا بِبَيْنِكُمْ مَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَسَرِّضْهُ لَهٗ أُخْرَى ۖ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ ۚ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَنَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۖ ﴾

وُجْدِكُمْ: وسعكم وطاقتم.

وَأُتِمُّوا بِبَيْنِكُمْ: تشاوروا في الأجرة والإرضاع.

تَعَاَسَرْتُمْ: تضايقتم وتشاحنتم فيهما.

ذُو سَعَةٍ: غنى و طاقة.

قُدِرَ عَلَيْهِ: ضيق عليه.

المطلوب من المسلم - كما يريد الإسلام - أن يعامل الآخرين بروح الساحة وسعة القلب، فيقابل ما لا يروق له أو يزعجه من سلوك الغير بجميل الصبر والتحمل ، ويؤدي إلى الغير حقه مهما ساءت العلاقات بينهما، والمرء إذ يفعل ذلك فإنه لا يحسن إلى غيره فقط، وإنما يحسن إلى نفسه كذلك ، حيث إنه يولد بذلك في داخله مزاج الواقعية ، وليس من شك في أن مزاج الواقعية هو الوسيلة الكبرى لإحراز النجاح في أي مجال من مجالات الحياة .

﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ۖ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا ۚ﴾ ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَنَقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۚ﴾ ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَىٰ آلَ أَلْبَابٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا ۚ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۚ﴾ ﴿رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۚ﴾ ﴿

وَكَايْنٍ مِّن قَرْيَةٍ: كثير من أهل قرية.

عَتَتْ: تجبرت وتكبرت وأعرضت.

عَذَابًا نُّكَرًا: منكرًا شنيعًا في الآخرة.

وَبَالَ أَمْرِهَا: سوء عاقبة عتوها.

خُسْرًا: خسرانا وهلاكًا.

ذِكْرًا: قرآنًا.

رُسُلًا: أرسل رسولاً، أو جبريل.

قوله ﴿لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ جاء هنا في سياق القوانين التي شرعها الإسلام عن تنظيم الأسرة . لقد كان العالم في قديم الزمان تسوده الأوهام والخرافات من أقصاه إلى أقصاه، كما كانت هناك شتى العقائد الخرافية التي أقامت العلاقات بين الرجل والمرأة على الأسس غير الفطرية ، ولما نزل القرآن الكريم قضى على هذه الخرافات البالية قضاءً مبرماً، وأقام العلاقة بين الجنسين على أساس الفطرة من جديد ، والذين لا يسلكون في طريق الصلاح، رغم هذا التدبير

الإلهي، فليس لهم في دنيا الله هذه شيء سوى الهلاك والخسران عاجلاً أو آجلاً ..

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَّوَلَّى الْآلِبَابِ ﴾ هذه الفقرة تدلنا على أن مصدر التقوى هو العقل، فعن طريق استخدام العقل والشعور وحده يرقى المرء إلى ذلك المقام الأسمى الذي يُسمى في الاصطلاح الديني بالتقوى !!

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأُمُّرَ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾
يَتَنَزَّلُ الْأُمُّرُ: يجري قضاءه وقدره أو تدبيره.

لئن كان المراد بقوله : ﴿ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ هو السبع أرضين كالسماوات السبع، فإن العلوم الفلكية لم تتمكن بعد من اكتشافها، فالأرض هذه - طبقاً للمعلومات المتوافرة لدينا، إلى حين كتابة هذه السطور - استثناء فريد من نوعه في هذا الكون بأسره ، لذا فالله وحده أعلم بالمقصود من قوله هذا .

﴿ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ هذا يوضح لنا أن ما يطلبه الله من الإنسان أصلاً إنما هو " العلم ". يعني الشعور بالذات الإلهية. إن هذا المصنع الكوني الضخم إنما تم إيجاده لكي يتعرف المرء من خلاله على الخالق، ولكي يصل عبره إلى معرفة قدرة الله المطلقة اللانهاية !!